المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية
في سورة النور (دراسة تأصيلية تطبيقية)

The Pragmatic Functions of Speech Acts in Surat An-Nur: A Fundamental and Applied Study

بقلم الدكتور

خالد صالح الشراري

أستاذ النحو واللغة المساعد بجامعة شقراء
المملكة العربية السعودية

العدد الثالث (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور
(دراسة تأصيلية تطبيقية)

خالد صالح الشراري

قسم النحو واللغة بجامعة شقراء المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Kh.alsharari@su.edu.sa

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية عند العرب كما يراها (سيرل) متتبعًا جذورها عند العرب قديمًا، وما آلت إليه عند الغرب بتحديد مصطلحاتها من خلال سورة النور .

تناولت الدراسة الأفعال الكلامية في سورة النور من ناحيتين؛ الأولى: إبراز قوة المعاني التي تستخدم في سياقات معينة، والثانية: دراسة الأفعال الكلامية من حيث وظائفها الإنجازية بأنواعها الخمسة كما يراها سيرل وهي: الوعديات أو الإلزاميات، والأخباريات أو التقريريات، والتوجيهات بشقيها : الأمريات والطلبيات، والتعبيريات أو البوحيات، والإعلانيات أو الإيقاعيات.

جاءت الدراسة في مبحثين؛ المبحث الأول : التداولية والأفعال الكلامية مفهومهما ونشأتهما وأقسامهما وأغراضهما، أما المبحث الثاني : فقد خصّها الباحث لدراسة الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور.

تبين للباحث في نهاية الدراسة، أن العرب سبقوا الغرب في تحديد معاني الأفعال، أما الغرب فسبقوا في تأطير المصطلحات لهذه المعاني وتصنيفها، وهذه الوظائف الإنجازية للأفعال الكلامية التي وضعها (سيرل) هي نفسها المعاني التي تحققت عند العرب، والتي اهتم بدراستها علما المعاني والدلالة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الكلامية، الأغراض الإنجازية، سورة النور، سيرل.

The Pragmatic Functions of Speech Acts in Surat An-Nur: A Fundamental and Applied Study

Khaled Saleh AlSharari
Assistant Professor of Syntax and Language at Shaqra University
Email: Kh.alsharari@su.edu.sa

Abstract

This research aims to study the accomplishment purposes of the verbals among the Arabs, as seen by Searle, tracing its roots in the ancient Arabs and what it led to in the West by defining their terms through Surat Al-Nur.

The study dealt with the verbals in Surat Al-Nur from two aspects; The first: to highlight the power of meanings that are used in certain contexts, and the second: to study verbals in terms of their accomplishment functions of their five types as seen by Searle, which are: promises or compulsions, statements or declaratives, and directives in their two parts: commands and orders, expressions or revelations, declarations or rhythmic.

The study came in two sections, The first topic: deliberativeness and verbal verbs, their concept, origins, divisions and purposes (a theoretical study). As for the second topic: the researcher has singled out it in studying the accomplishment purposes of the verbals in Surat Al-Nur.

At the end of the study, it became clear to the researcher that the Arabs preceded the West in defining the meanings of verbs, while the West preceded them in framing and categorizing terms for these meanings.

Key words: deliberative, verbal verbs, accomplishment purposes, Surat Al-Nur, Searle.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم نظريات علم اللسانيات الحديثة، إذْ إن دراسة هذه الأفعال تعد أهم مجالات الدراسات التداولية، حيث تمثل البنية الصغرى لفهم وتبادل الكلام بين الناس بعضهم بعضا، وطريقة إنتاجهم لفعل كلامي في إطار موقف كلامي محدد قبل الانتقال إلى البنية الكبرى للكلام .

تأتي مشكلة البحث في بيان أهمية السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي في فهم النصوص، وبيان أهمية التكامل في دراسة لغة النصوص القرآنية وفق المناهج القديمة والحديثة.

وتتمثل أهمية البحث في الوصول إلى حقيقة جذور نظرية الأفعال الكلامية من خلال تسليط الضوء على النظرية التداولية، وبيان أثر الأفعال الإنجازية في فهم مضمون الخطاب في النصوص القرآنية.

لذا جاء البحث المعنون بـ (الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور) دراسة تأصيلية تطبيقية؛ ليكشف عن جذور هذه النظرية عند العرب قديمًا، وعند الغرب وصولا إلى النظرية التداولية، وبيان الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية عند العرب كما ذكرها سيرل؛ وذلك من خلال سورة النور، معتمدًا على المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي؛ يتمثل المنهج التاريخي في تتبع نشأة هذه النظرية، أما المنهج الوصفي التحليلي، فيتمثل في دراسة الأفعال الكلامية وأغراضها الإنجازية؛ ليتبين من خلال البحث صحة فرضية السبق العربي لمعرفة المعاني والأغراض غير الزمانية للأفعال بمساعدة السياق التي عرفها العرب منذ القدم ، وتتبعها الغرب بتحديد مصطلحاتها.

تناول العلماء القدماء هذا الموضوع في علمي الدلالة والمعاني وهي متناثرة، أما المحدثون فقد تناولوا جملة من الدراسات والأبحاث؛ كدراسة زيد خليل القرالة في بحثه (التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص) المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الأول، المجلد السابع عشر عام ٢٠٠٩ م . وكتاب (التداولية) لجورج يول ، ترجمة قصي العتابي، الصادر عن الدار العربية للعلوم عام ٢٠١٠م. ودراسة آمنة لعور في بحثها (الأفعال الكلامية في سورة الكهف) رسالة ماجستير، الجزائر، عام ٢٠١١ م. ودراسة حسين عمران محمد (شعر أبي نواس دراسة تداولية)، تحدث الباحث عن الخطابين الإنشائي والمجازي، رسالة دكتوراه، العراق، عام ٢٠١٥م. ودراسة خلف الله علي في بحثه (التداولية مقدمة عامة)، المنشور في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد الرابع عشر، العدد الأول عام ٢٠١٧م. ودراسة هادي زغير في بحثه (قصيدة أحمد الزعتر للشاعر محمود درويش دراسة تداولية) المنشور في مجلة الأستاذ، العراق، العدد (٢٢١) المجلد الأول، عام ٢٠١٧م.

وقد تكَّون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول : التداولية والأفعال الكلامية نشأتهما ومفهومهما وأقسامهما وأغراضهما.

المبحث الثاني: الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور . (دراسة تطبيقية).

وفي نهاية البحث أدرج الباحث النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول

التداولية والأفعال الكلامية نشأتهما ومفهومهما وأقسامهما وأغراضهما

النقطة الأولى: التداولية.

مفهوم التداولية لغةً:

يرجع مصطلح التداولية في أصل اشتقاقه إلى مادة (د.و.ل)، وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين: الأول يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، والدّولة لغتان. ويقال الدُّولة (بضم الدال) في المال، والدَّولة (بفتح الدال) في الحرب[1]. وجاء في أساس البلاغة: " والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم، ومرة عليهم، ويقال: الدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم، أي مرة لهذا ومرة لذاك"[2]. ومن شواهد استخدام هذا اللفظ في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ .....﴾ (سورة الحشر: ٧) . ومنها قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٠).

يلاحظ أن لفظ (دول) جميعها تدور حول فلك التحول والانتقال والتعاقب.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩١م، ج٢، ص٣١٤.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م ، ج١، ص٣٠٣.

مفهوم التداولية اصطلاحاً:

تعددت التعريفات للتداولية كمصطلح، ومنها: دراسة كل جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية(١). ومصطلح التداولية: مسمى غربي للعلم الذي يختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ، ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحياناً بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم(٢). والتداولية: مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، كما يبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية(٣). كما كان لتعدد تعريفات التداولية أثر في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية، فقد ترجم إلى: الذرائعية، والمقصدية، والمقامية، والتداولية(٤). والتداولية أكثرها شيوعًا، وأقربها إلى طبيعة البحث.

ويبدو واضحًا أنه يصعب تحديد مفهوم التداولية بشكلٍ دقيق، إلّا أنَّه يتبين لنا مما سبق أن التداولية تدرس اللغة ضمن استعمالاتها اللغوية ، وتهتم بدراسة المعنى للكلام في سياق محدد كما يقصده المتكلم، وليس بدراسة المعنى المعجمي فقط.

---

(١) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٦م ، ص١٢.

(٢) جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م ، ص١٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٣ – ١٥ .

(٤) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٢.

نشأة التداولية

أولًا: عند العرب.

إن الحديث عن موضوع التداولية وحضورها في التراث اللغوي العربي، ليس المقصود منه التأصيل لها، بل هو ضروري؛ لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية، وإن لم تكن تحظى بالاحتفاء أحيانًا من لدن بعض الدارسين المحدثين احتفاءهم بكل وافد حديث من المقولات الغربية[١]. حيث يجب علينا – من باب الإنصاف وعدم التنكر للحقيقة – أن نشير إلى أن جلَّ مبادئ التداولية الحديثة حاضرة في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة أحيانا، أو غير منضبطة في أحيان أخرى[٢].

كان النحاة في تحليلهم للجمل على صلة وثيقة بمعاني الكلام، وأغراض الأسلوب ومقاصده، ولم يكن نحوهم كله نحوًا شكليًا خالصًا،[٣] حيث اهتم كثير من نحاتنا القدامى بالمبادئ التي تعد عند المعاصرين أسسًا تداولية، كمراعاة (قصد المتكلم)، ومراعاة (حال السامع) ضمن ما أطلقوا عليه مصطلح (الإفادة) و(السياقات) التي ينتج ضمنها الكلام، والتواصل اللغوي[٤] .

---

(١) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، ج١، ص٣٢.

(٢) أبو زيد، نواري سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص٣٢.

(٣) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٥م ، ص١٧٤.

(٤) صحراوي، مسعود، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللسانيات، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠٠٤م ، ص٢٦٢.

ومن هنا يتضح أن النحاة، قد فهموا أن اللغة هي لفظ معين، يؤديه متكلم معين، في سياق ومعاني، لأداء غرض تواصلي معين، مما يدل على أنهم التفتوا إلى المنهج مقام التداولي[١].

تعود البدايات الأولى لملاحظة هذا المنحى التداولي إلى عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، ولكن المتأخرين كانوا أكثر اهتماما بذلك، كعبد القاهر الجرجاني، والإستراباذي وغيرهما[٢]، وأما حديثًا فقد وضع الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن في عام ١٩٧٠م، وتبعه أحمد المتوكل في عام ١٩٨٥م، مصطلح التداولية مقابلاً للمصطلح الفرنسي براجماتيك (pragmatique) التي تفيد معنى الممارسة[٣] .

ثانياً: عند الغرب

يعود مصطلح (التداولية) بمعناه الحديث إلى الفيلسوف والسيميائي الأمريكي (تشارلز موريس/ ١٩٣٨م)، حيث عرّفها بأنها "جزء من السيميائية، تهتم بدراسة علاقة بين العلامات ومستعمليها "[٤] .

إنّ تقصي جذور التداولية يفضي إلى (الفلسفة التحليلية) التي ظهرت على يد الفيلسوف الألماني (فريجه) ١٨٤٨م ١٩٢٥م،[٥]ومن ثم فقد تأثر بهذا المنهج

---

(١) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٤.

(٢) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٢٠٥.

(٣) مجموعة باحثين، البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ط١، ١٩٨٤م ، ص٢٩٩.

(٤) لعور، آمنة، الأفعال الكلامية في سورة الكهف ، رسالة ماجستير، جامعة منتوي، الجزائر، ٢٠١١م ، ص٢٦.

(٥) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٢٠.

كل من فلاسفة اللغة (أوستن، وغريس، وسيرل) الذين أسهموا في تطوير هذا الاتجاه، وأرسوا دعائم الاتجاه التداولي، حيث أتى (أوستن) في هذا المجال بقسم ثانٍ من العبارات أطلق عليه اسم (العبارات الإنجازية) أو (الأفعال الإنجازية)؛ وذلك مقابل (الأفعال الخبرية)، متجاوزًا بذلك ما كانت تعتمد عليها الفلسفة الوضعية المنطقية التي تشترط مقياسًا وحيدًا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب. (١)

علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

تعد التداولية منهجًا شاملًا يهتم باستعمال اللغة، ولا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي صوتيًا كان أم صرفيًا أم نحويًا أم دلاليًا، لذا لا تقتصر على جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعها، وتتداخل معها في بعض جوانبها، ويرى بعض العلماء أنه يمكن أن تكون امتدادًا للسيميائية.(٢)

يتبين مما سبق أنّ التداولية تتداخل مع العديد من العلوم الإنسانية والنظريات المعرفية مثل علم النحو، وعلم الدلالة والمعاني، وعلم اللسانيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، و علوم الاتصال، وتحليل الخطاب، والفلسفة، والسيميائية والبنيوية.

---

(١) بوجادي، في اللسانيات التداولية ، ص ٨٩-٩٠. وانظر: صحراوي التداولية عند العلماء العرب، ص ٢١.

(٢) مدقن، هاجر، التحليل التداولي: الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية، مجلة الأثر ،جامعة قاصدي ، الجزائر، العدد السابع ، ٢٠٠٨م، ص ١٦٧.

مبادئ التداولية:

للتداولية العديد من المبادئ التي تنتهجها، ومن أهم هذه المبادئ :

١- الإشاريات: يعد بيرس أول واضع لها، وهي العناصر الهامة في اللغة والتي لا يمكن إنتاجها وتفسيرها بمعزل عن المقام.(١)وقد توصل معظم الباحثين إلى أن التعبيرات الإشارية خمسة أنواع : نصيّة، وشخصية، وزمانية، ومكانية، واجتماعية.

٢- الافتراض المسبق: وهو مفهوم تداولي، حيث إن المعنى المستنتج ضمن محادثة ما يكون معلومًا للمتكلم والمخاطب، وذلك عند كل عملية كلامية ينطلق الأفراد المتخاطبون من معطيات أساسية معروفة، وهذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون، وهي محتواة في القول، سواء تلفظ بهذا القول إثباتًا أم نفيا(٢) .

٣- الاستلزام الحواري: هو نقيض الافتراض المسبق، ويعود الفضل في نشأة هذا الجانب من البحث التداولي إلى الفيلسوف الأمريكي (بول جرايس) الذي بيّن أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح هذا الاختلاف بين ما يقال وما يقصد(٣) .

٤- نظرية الأفعال الكلامية: ويعد الفيلسوف الإنجليزي (أوستن) هو مؤسسها، فهو يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات، والتعبير عن الأفكار فحسب، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن

---

(١) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٦.

(٢) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق ، ص٣٢-٣٣.

معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، ولها تأثير إنجازي[١] .

٥- السياق: وهو من المصطلحات الشائعة في الدرس اللغوي، والمحيط الذي توجد فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة، والذي يتحدد من خلاله المعنى المراد[٢]، وتعددت أنواع السياق، ومن أشهر أنواعها: السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي.

٦- القصدية: تضع التداولية في اعتبارها كلا من المرسل والمرسل إليه، فالأول يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه، كما أن هذا الأخير يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ، عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفق عناصر السياق[٣] .

النقطة الثانية: الأفعال الكلامية.

تعد نظرية الأفعال الكلامية محور ونواة التحليل التداولي؛ لأنها تؤدي إلى تغييرات في المعنى المادي والمعنوي بفعل المعاني التأثيرية التي تنتجها هذه الأفعال.

مفهوم الأفعال الكلامية:

يرى مسعود صحراوي أن " (الفعل الكلامي) يعني التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمّ ف (الفعل الكلامي) يراد به الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته، الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة...

---

(١) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٤١-٤٢.

(٢) محمد، حسين عمران، شعر أبي نواس: دراسة تداولية، أطروحة دكتوراة، جامعة ديالي، العراق، ٢٠١٥م ، ص ١٠٧.

(٣) الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٤.

فهذه كلها أفعال كلامية"[١].

فالأفعال الكلامية تهتم بدراسة القوة الإنجازية للكلمة عند تأليفها مع كلام آخر؛ لبناء الجملة المؤدية إلى مقصدية معينة ضمن السياق المطلوب .

الأفعال الكلامية عند العرب:

درس العرب رتبة الكلام من حيث ضعف الأداء أو قوته، مراعين مقتضى حال المخاطب، وما يؤديه اللفظ في تركيبته مع الألفاظ الأخرى إلى معانٍ جديدة ودلالاتٍ مستحدثة، واهتدى العرب إلى أدوات تجعل القوى الإنجازية للفعل الكلامي متفاوتة بحسب غرض المتكلم، وسمى النحاة هذه الأدوات ب (حروف المعاني)، وهي التي تثري العربية بأساليب كثيرة متنوعة، وتمدها بِطّاقة تعبيرية هائلة، كدلالة (رُبّ) للتقليل، و(كم) الخبرية على التكثير، وأدوات التوكيد، و....[٢].

كما عرف العرب وسائل أخرى لتدعيم القوة الإنجازية للأفعال الكلامية؛ كتقديم ما حقه التأخير، أو أسلوب القصر والحصر، أو أساليب التوكيد: المعنوي واللفظي، وكلها تهدف إلى تقوية الفعل الإنجازي مراعاةً لحال المخاطب، كما التفت العرب القدماء إلى ظاهرة الأفعال المباشرة وغير المباشرة، ويتمثل ذلك بالتفات البلاغيين والأصوليين والنحويين، فالبلاغيون عبروا عن هذه الظاهرة بما يعرف بالمعنى الفرعي أو المعنى الحقيقي، أو المعنى غير الحرفي، أو معنى المعنى. ومن أوائل الذين التفتوا إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني[٣] .

---

(١) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦- ١٧.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة – مصر، ط٣، ١٩٩٢م، ص٢٨٦.

أما الأصوليون، فقد عنوا بدلالات الألفاظ لاستنباط الأحكام الفقهية من تلك المدلولات، فالدلالة عندهم نوعان: دلالة مطلقة دال على معان مختلفة، ودلالة مقيدة دالة على معان خادمة وتسمى دلالة تابعة. أما النحويون، فقد أخضعوا تداولية النص القرآني إلى أن النص له معنيان: ظاهرٌ وخفي، وإن اللغة هي وسيلة التخاطب الأساسية بين الناس، وما عداها من حركات ومن مؤشرات ما هي إلّا موضّحات للغة التخاطب(١).

وبات من المؤكد أن العرب سبقوا الغرب في دراسة الأفعال، إذ صَنَّف الفارابي العبارات الكلامية الصادرة عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما: عبارات القول، وعبارات الفعل، فيرى أن لكل قوة كلامية جوابًا معينًا، " وكلّ مخاطبة وكلّ قول يخاطب به الإنسان غيره ، فهو إما يقتضي به شيئًا ما، وإما يعطيه به شيئاً ما، والذي يعطي به الإنسان غيره شيئًا ما فهو قول جازم، إما إيجاب وإما سلب، ومنه: التعجب والتمني، والذي يقتضي به فعل شيء ما، فمنه: نداء وتضرع وطلبية ومنع وكفّ وأمر ونهي" (٢) .

لا شك أنّ ما سبق يجزم أنّ الفارابي قد قسّم الكلام إلى أفعال وأقوال تتم بالأفعال، مما يؤكد وجود تلك النظرية عند العرب تطبيقًا.

---

(١) زغير، هادي سدخ، قصيدة أحمد الزعتر للشاعر محمود درويش دراسة تداولية، مجلة الأستاذ، عدد ٢٢١، م ١، ٢٠٠٧م، ص٢٧.

(٢) الفارابي، أبو نصر ، كتاب الحروف، حققه وقدم له: محسن مهدي ، بيروت- لبنان، دار المشرق، ط٢، ١٩٩٠م ، ص١٦٢.

الأفعال الكلامية عند الغرب:

يعد المنهج التداولي الذي ظهر في الغرب من أهم المناهج التي اهتمت بدراسة أثر الكلام في الدراسات الحديثة، ومن رواده (فيرث) و (أوستن) و(سيرل)، ويعد (أوستن) أبا لنظرية الأفعال الكلامية، فالأفعال الكلامية هي أقوال تؤدى بها أفعال فيما يمكن للمرء أن ينجز أفعالًا بواسطة اللغة(١).

أقسام الأفعال الكلامية عند (أوستن):

قسّم (أوستن) المنطوقات إلى قسمين:

أ- إخبارية تقريرية: وهي أفعال تصف حقائق العالم الخارجي، وتنقل معلومة إلى المتلقي أو تقرر واقعًا وتوصف بالصدق أو بالكذب(٢).

ب- إنشائية أدائية: وهي أفعال تؤدى بها أفعال في ظروف ملائمة، ولا توصف بالصدق ولا بالكذب، بل تكون ناجحة أو غير ناجحة، طبقًا لمعيار المواءمة والمخالفة، وكون المتكلم مؤهلًا للقيام بالفعل.

ج- كما رأى (أوستن) أن هناك أفعالاً بين بين، وتحتمل التقريرية والأدائية، وذلك حسب سياق الكلام(٣) .

أقسام الأفعال الكلامية عند سيرل:

كان لسيرل دور كبير بعد أوستن في نظرية الأفعال الكلامية، حيث قَسَّم الأفعال الكلامية حسب تأثيرها، ووظيفتها، وسمى هذا التأثير بالفعل الإنجازي.

فالفعل الإنجازي: فعل ناتج عن الفعل الكلامي الحقيقي، وهو القيام بفعل ضمن قول شيء، والفعل الإنجازي يحدث أثرًا معينًا على المخاطب، كأن يستجيب

---

(١) شارودو باتريك ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٠.

(٢) عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص١٥٣.

(٣) نحلة، ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٤٣.

المخاطب مثلًا لأمر ما ؛ كإغلاق النافذة، أو فتح باب، وبهذا يكون الفعل التأثيري هو الفعل بواسطة القول[١]، وقد قسمها حسب وظيفتها الإنجازية إلى خمسة أقسام، هي:[٢]

١- الإخباريات (التقريريات): وهي الأفعال التي تختص بوصف المتكلم لواقعة معينة من خلال قضية، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، وشرط الإخلاص فيها، يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها[٣] .

٢- الوعديات (الإلتزاميات): وهي الأفعال التي تلزم المتكلم بفعل شيء في المستقبل، ويدخل فيها الوعد والوصية[٤]، وتتميز الوعديات بأن يكون المسؤول عن إحداث الوعد هو المتكلم قادرًا على أداء ما يلزم نفسه به في زمان المستقبل، وأن تكون النية قائمة على القصد[٥] .

٣- التوجيهيات(الأمريات والطلبيات): وهي الأفعال التي غرض المتكلم منها توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، ويدخل في هذا الأمر والنصح والاستعطاف والتشجيع[٦] ، ويكون المخاطب هو المسؤول عن إنجاز الفعل في زمن المستقبل وقادرًا على الامتثال، وصادرة عن المتكلم بنية الإرادة والرغبة،

---

(١) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م ، ص٦٦.

(٢) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م ، ص٦٦.

(٣) محمد، شعر أبي نواس دراسة دلالية، ص١٤٠.

(٤) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، ط١، ١٩٨٧م، ص ٦٨- ٦٩.

(٥) ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية دلالية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م ، ص٥٠٦- ٥٠٧.

(٦) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥١-٥٢.

ويلاحظ فيها كثرة تعدد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطوق[١] .

٤- التعبيريات (البوحيات): وهي تعبير عن مكنونات المتكلم، وما يعتلج فيها لإيصاله إلى المخاطب؛ لتحقيق غاية يقصدها المتكلم، وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي حيال أمرٍ ما، وكل ما هو مطلوب من المتكلم الإخلاص في التعبير عن قضية ما[٢]. ومما يميزها عن الإخباريات، هو التفريق بين الجمل التي تتحدث عن المشاعر والانفعالات الخاصة بالمتكلمين أو المتلقين وبين الجمل التي تتحدث عن المتكلم على نحو وصفي[٣].

٥-الإعلانيات (الإيقاعيات): وهي الأفعال التي تتسم بأدائها الناجح من حيث مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي؛ كفعل إعلان الحرب مثلًا، فمجرد الإعلان عنه بشكلٍ ناجحٍ فإن الحرب معلنة فعلًا، ولا تحتاج هذه الأفعال إلى شرط الإخلاص، وتتميز بأن محتواها القضوي، قد يتمثل في المتكلم مثل (زوجتك نفسي)، وقد تتمثل في المتلقي؛ مثل (أنت حر). والتمثيل: هو المسؤولية عن تحقيق الفعل. فالمسؤول عن تحقيق الأفعال الإعلانية هو المتكلم، وتحتاج هذه الأفعال لمؤسسة غير لغوية تشكل غطاءً لأداء الفعل بصورة ناجحة[٤] .

ومما لا شك فيه أنّ أي كلام يصدر عن أي شخص يحمل رسالة من هذا الشخص إلى الشخص المستقبِل، ويعتمد فهم هذا المستقبِل للرسالة على سياق الكلام، فالكلمة الواحدة قد تحمل معانٍ عديدة، ولكن السياق هو الذي يحدد المعنى، وكل فعلٍ قوة إنجازية يتضمنها هذا الفعل.

---

(١) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٥٢.

(٢) المرجع السابق ، ص٨٠.

(٣) الصراف، علي محمود، في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: دراسة تداولية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠١٠م، ص٢١٣.

(٤) عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص٢٣٧.

المبحث الثاني

الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور (دراسة تطبيقية).

أولاً: سورة النور: فضلها، وسبب نزولها.

سورة النور سورة مدنيّة بالإجماع، وهي السورة الرابعة والعشرون من حيث ترتيبها في المصحف الشريف، وتقع في الجزء الثامن عشر، وعدد آياتها أربع وستون آية، ويرى العلماء أنّ أوائلها نزلت في سنوات الهجرة الأولى، والغالب أنّها في نهاية السنة الأولى وبداية السنة الثانية، وقد نزلت منجّمة متفرقة خلال مدة طويلة؛ إذْ إنّ بعض آياتها قد نزلت نحو السنة التاسعة للهجرة، يقول ابن عاشور: "إنّها السورة المئة في ترتيب النزول بحسب رواية جابر بن زيد التي ينقلها عن ابن عباس، وقد نزلت قبل سورة الحج وبعد سورة النصر بحسب هذه الرواية"(١) ، وقيل إنّها نزلت بعد سورة الحشر(٢) .

سبب نزول سورة النور

لم يرد فيها سبب نزول، وما ورد فيها هو أسباب لنزول بعض الآيات منها كما ورد في كتب أسباب النزول مثل كتاب لباب النقول للسيوطي(٣) .

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م ، ص ١٣٩.

(٢) شرف الدين، جعفر، الموسوعة القرآنية خصائص السور، تقديم: عبد العزيز بن عثمان التويجري ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٩م ، ج٦، ص ٧١ .

(٣)السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، خرج أحاديثه وعلق عليها: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م ،ج ٦، ص ١٣٨ .

فضل سورة النور

جاء في فضل سورة النور بعض الأحاديث والأقوال الصحيحة، وبعض الأحاديث الموضوعة، فأما الصحيحة:

١. "قرَأ ابنُ عبّاسٍ سُورةَ النُّورِ، ثم جعَلَ يُفسِّرُها، فقالَ رَجُلٌ: لو سَمِعَتْ هذا الدَّيلَمُ أسلَمَتْ"، وهو حديث إسناده صحيح(١).

٢. "علّموا رجالَكم سورةَ المائدةِ وعلِّموا نساءَكم سورةَ النور"، وهو حديث مرسل(٢) .

وأما ما ورد في فضلها من أحاديث أخرى موضوعة، فهي ما أوردها الإمام الفيروز آبادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وهي:

١-حديث أبي بن كعب المستضعف: "من قرأ سورةَ النُّورِ أُعطِي من الأجر عشرَ حسنات، بعدد كلّ مؤمن فيما مضى، وفيما بقى". وهو حديث موضوع(٣) .

٢-حديث: "لا تُعلِّموهنَّ الكتابةَ ولا تُسكنوهنَّ الغُرَفَ وعلِّموهنَّ سورةَ النُّور" رواه الألباني، وهو حديث موضوع(٤) .

---

(١) القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ضبطه وحققه: محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ج ٦، ص١٣٧.

(٢) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ١٩٨٨م، ط٣، ص ٥٤٦ .

(٣) العسقلاني، الحافظ بن حجر، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م ، ص ٢٠٥.

(٤) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ط١، ٢٠٠٢م ، ج١، ص٣٤٦.

٣- حديث:"يا علي مَن قرأ سورة النّور نوّر الله قلبه، وقبره، وبيّض وجهه، وأعطاه كتابه بيمينه وله بكلّ آية قرأها مثل ثواب مَن مات مبطوناً " وهو حديث موضوع(١).

ولسورة النور عدة من الفضائل والمكارم التي يمكن للمسلم تطبيقها على حياته، بحيث يكون أقرب ما يكون تطبيقًا للمنهج القرآني، وهي(٢) :

١- أن القلب إذا ما صلح، وامتلأ بالإيمان بالله تعالى، فسوف ينعكس ذلك على العبادات الشعائرية، وسائر أعمال المسلم، فيحرص المسلم على تفقد أحوال قلبه في كل حين.

٢- أن الأخلاق الحسنة عنصر أصيل في العقيدة الإسلامية، والمسلم يحرص على التحلي بما حسن من الأخلاق؛ لأنها حتمًا ستقودنا إلى صلاح العمل.

٣- أن تُلمَّ بآداب دخول المنازل، والاستئذان قبل دخولها، فالاستئذان أمر مهم ووقائي للحد من التجاوزات في الخصوصية، وصونًا لكرامة الناس.

٤- أن أعمال المسلم قد تكون كسراب، فيظن المسلم أنه يحسن صنعًا، ثم يرى أعماله بلا قيمة، فيجب أن يحرص المسلم على تفقد ما يرضي الله تعالى من أعماله، وتفقه نيته في كل حين.

٥- أن استحضار الأدب في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، وخلاف ذلك ما هو إلا فعل من أفعال المنافقين، فيحرص المسلم على تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- أن ما فرض على المسلمين من الأحكام العملية، تصب في منفعة المسلم، فلا يترك شيئًا منها، حيث هي أوامر الله تعالى سواء أدرك حكمتها أم لم يدركها.

---

(١)الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٦م ، ج١، ص٣٣٩.

(٢) شرف الدين، الموسوعة القرآنية، ج ٦، ص ٧١-٧٥ .

ثانياً: الأفعال الكلامية وأغراضها الإنجازية في سورة النور

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾

(أنزلناها وأنزلنا):فعلان ماضيان خبريان تقريريان؛ لأنّ الله تعالى يخبر بنزول هذه السورة، وما احتوت عليه من آيات ودلالات واضحة على الحق، ومن يتفكر فيها سيعلم بحق أنها من عند الله.

(فرضناها): فعل ماضٍ إعلاني، يتحقق محتواها القضوي بمجرد النطق به، وبهذا فإن الله يفرض على الناس الالتزام بما جاء في هذه السورة من أحكام فور نزولها.

(لعلكم تذكّرون): الفعل المضارع (تذكرون) المسبوق بحرف الترجي (لعلّ) فعل توجيهي طلبي، لأنّ الله يوجه الناس للاتعاظ بما جاء في سورة النور، ويطلب منهم ذلك بأسلوب توجيهي لطيف ترغيبًا لا ترهيبًا.

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾

(فاجلدوا) فعل أمر توجيهي، يُوجه الله الناس لجلد الزاني، وعلى الناس أن يمتثلوا لأمر الله.

(ولا تأخذكم) فعل مضارع مسبوق بحرف النهي الجازم (لا)، فأسلوب النهي يعني الأمر، وبذلك يكون الفعل توجيهيًا طلبيًا من الأعلى منزلة (وهو الله) إلى الأدنى منزلة (وهم الناس).

(إن كنتم تؤمنون) الفعل خبري وصفي، يصف فيه من ينفذ أحكامه. والفعل (وليشهد) فعل توجيهي طلبي يفيد الأمر.

﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) ﴾

(لا ينكح)، فعل مضارع مسبوق بحرف نفي، وهو فعل إخباري تقريري وصفي، يصف الله نكاح الزناة بأنه لا يكون إلّا من زناة مثلهم، (حرّمَ) فعل مضارع مبني للمجهول، فعل إعلاني، يتحقق بمجرد قول الله له، فهذا الفعل بمعنى الحكم النهائي بتحريم الزنا على المؤمنين، ولله في ذلك حكمة، وهو حفظ الدين والنسل.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) ﴾

(يرمون) فعل مضارع إخباري، يخبر الله عمن يرمون المحصنات، ويصفهم للناس كي يميزوهم عن غيرهم لينزلوا عليهم العقاب إن لم يأتوا بأربعة شهداء، (لم يأتوا) فعل مضارع مجزوم يفيد النفي، وهو فعل إخباري وصفي كذلك، والفعلان (فَاجْلِدُوهُمْ ولا تقبلوا) فعلان توجيهيان، الأول فعل أمر، والثاني فعل مضارع مسبوق بحرف نفي، أي أنهما فعلان توجيهيان طلبيان، يطلب الله في الفعل الأول جلد الزناة، ويطلب في الثاني أن لاتقبل شهادة من الزناة.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) ﴾

الفعلان (تابوا وأصلحوا) فعلان ماضيان إخباريان تقريريان وصفيان، يخبر الله أن الزناة الذين تابوا عن الزنا، وأصلحوا أعمالهم فإنه غفر لهم رحمة بهم ؛ لأنهم أطاعوا أوامره، وتجنبوا نواهيه.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) ﴾

(يرمون ولم يكن لهم) الأول فعل مضارع إخباري تقريري وصفي، والثاني فعل مضارع ناقص منفي ب (لم) ، غرضهما الإنجازي: الإخبار والوصف.

﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) ﴾

(إن كان) فعل ماض ناقص مسبوق بحرف الشرط (إن)، وهو فعل إخباري وصفي، يصف فيه مصير الكاذبين وهو لعنة الله تعالى عليهم.

﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) ﴾

(يدرأ): تعني يدفع، وهو فعل مضارع إعلاني، يتحقق بدفع الحد عنها إذا أقسمت بالله أربع مرات بأنه كاذب في ادعائه، (أن تشهد) فعل مضارع منصوب ب (أن) للتأكيد على أهمية الحلف بالله لاستشعار منزلة اليمين عند الله، فهو إما أن يثبت الاتهام، ويقام الحد على المدعى عليه، أو ينفيه ويمنع إقامة الحد، وهو فعل إعلاني كذلك يتحقق محتواه القضوي بمجرد التلفظ به.

﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) ﴾

(إن كان) فعل ماض ناقص مسبوق بحرف الشرط، وهو فعل إخباري، يصف الزوج إن كان من الصادقين أم لا.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي: لحرجتم ولشقّ عليكم كثير من أموركم، فالسياق يدلنا على فعل جواب الشرط المحذوف وتقديره لحرجتم ولشقّ عليكم الذي يعد فعل تقريري وصفي؛ لأن الله يصف فيه حال الناس.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾

(جاءوا) فعل ماض إخباري وصفي، (لا تحسبوه) فعل مضارع مجزوم غرضه التوجيه والنصح، (اكتسبَ) فعل ماض، غرضه الإنجازي: الإخبار والوصف لمن جاءوا بالإفك، (تولّى) فعل ماضٍ إخباري غرضه الإخبار عن مصير قائد حملة الإفك.

﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) ﴾

قال ابن كثير: "هذا تأديب من الله للمؤمنين في قضية عائشة، رضي الله عنها، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيء، وما ذكر من شأن الإفك، فقال: (لولا) بمعنى : هلا (إذ سمعتموه) أي: ذلك الكلام ، أي: الذي رميت به أم المؤمنين (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أي : قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم ، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى[1] .

فالأفعال: (سمعتموه)، (ظنّ)، (قالوا) أفعال ماضية، غرضها التوجيه والطلب منهم أن يظنوا بعائشة الخير كما يظنوا لأنفسهم، ويقولوا ما يتوجب على المؤمنين قوله حينما سمعوا بالإفك.

﴿ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) ﴾

(جاءوا) غرضه التوجيه للإتيان بما يثبت ادعاءهم بالإفك، (لم يأتوا) فعل إخباري وصفي، يصف الله من لم يأت بالشهود بالكذب.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) ﴾

(لمسّكم)، فعل ماض وعدي، يفيد توعد الله للمؤمنين الذين فاضوا بالحديث بالإفك بالعذاب لولا رحمته وفضله عليهم. (أفضتم) فعل ماض إخباري يصف تداولهم بالحديث عن الإفك، قال القرطبي: "والإفاضة : الأخذ في الحديث؛ وهو الذي وقع عليه العتاب؛ يقال: أفاض القوم في الحديث أي أخذوا فيه"[2] .

---

(١) ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٠م ، ص١٣٢٠.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠٦م ، ج١٥، ص١٧٣.

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) ﴾

جاء عند ابن كثير: "قال مجاهد، وسعيد بن جبير: أي: يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان، وقال فلان كذا، وذكر بعضهم كذا، وقرأ آخرون (إذ تلقونه) وفي صحيح البخاري عن عائشة : أنها كانت تقرؤها كذلك وتقول : هو من ولق القول ، يعني : الكذب الذي يستمر صاحبه عليه"(١) .

فالأفعال (تلقونه)،(تقولون)، (تحسبونه): أفعال إخبارية وصفية، يصف الله تعالى بها المؤمنين الذين أفاضوا بالحديث عن الإفك.

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) ﴾

الفعل (سمعتموه) فعل الشرط وهو فعل إخباري، (قلتم ما يكون لنا أن نتكلم) جواب الشرط، فعل توجيهي، يوجه الله المؤمنين أن يستنكروا ما سمعوه من الإفك.

﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) ﴾

جاء في تفسير البغوي في معنى يعظكم: "قال ابن عباس رضي الله عنهما : يحرم الله عليكم، وقال مجاهد: ينهاكم الله"(٢) . ويقول ابن كثير: "الأمر بالظن خيرًا"(٣) . وجاء في معجم الرائد: "نصح وذكر بما يصلح السريرة"(٤) .

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص١٣٢١.

(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، السعودية، ١٩٨٩م ،ج٦، ص٢٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص١٣٢٢.

(٤) مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٩٢م ، ص٨٦٦.

(يعظكم) فعل مضارع إذا كان كما قال ابن عباس فسيكون فعل إعلاني يعلن التحريم، وإذا كان كما قال مجاهد وابن كثير وصاحب الرائد، فهو فعل توجيهي، وأرى والله أعلم أنه فعل توجيهي؛ لترك الخوض في حادثة الإفك.

﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) ﴾

(يبين) فعل مضارع بمعني يوضح ويفصل، وهو فعل إعلاني؛ إذ وضَّح الله حكم براءة عائشة مما نُسِب إليها.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٩)﴾

(يحبون) فعل تعبيري يعبر عن شعور المنافقين حين حادثة الإفك، (أن تشيع) أي أن تظهر، وهو فعل إخباري وصفي، (آمنوا) فعل إخباري وصفي كذلك. (يعلم)، (لا تعلمون) فعلان إعلانيان، يثبت الله العلم لنفسه، هو إعلان عام للجميع، بأن الله يعلم بكل شيء، (وأنتم لا تعلمون) إعلان من الله بنفي صفة العلم بما خفي من الأمور عن الناس.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾

جاء في تفسير البغوي "جواب " لولا " محذوف، أي: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحًا، وحسان، وحمنة"[1]. وهم ممن تكلموا بالإفك، فالفعل المحذوف وتقديره (لعاجلكم) فعل إعلاني.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾

(١) البغوي، تفسير البغوي، ج ٦، ص٢٦.

(لا تتبعوا) فعل مضارع مسبوق بلا الناهية، وهو فعل توجيهي، يطلب الله من الذين آمنوا ألّا يتبعوا خطوات الشياطين، (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا تنفير وتحذير من ذلك، يوجههم الله للبعد عن اتباع الشيطان، (مَا زَكَى) جاء في تفسير الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، ما تطهّرَ منكم من أحدٍ أبدًا من دنسِ ذنوبه وشركهِ، ولكنّ الله يطهّر من يشاء من خلقه"(١) فالفعل (زكى) المسبوق بما النافية فعل إعلاني، يعلن الله فضله على العالمين أن هدى بعضهم للإسلام بفضله وإرادته.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾

(يرمون) أي يتهمون، فعل مضارع إخباري، يصف مصير من يتحدث في عرض عائشة، (لعنوا) فعل إعلاني، يعلن الله فيه عن عقاب هؤلاء في الدنيا والآخرة، وكان هذا اللعن بموجب إصدار الحكم عليهم.

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾

جاء في تفسير الطبري أنه "حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب، عند تقرير الله إياه بها فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض، لا أنّ ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه"(٢). فالفعل (تشهد) فعل إخباري وصفي، يصف الله يوم القيامة حال من يجحد فعله في الدنيا.

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ج٥، ص٤١١.

(٢) الطبري، تفسير الطبري ،ج ٥، ص٤١٢.

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) ﴾

قال البغوي: "(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم الواجب، وقيل: حسابهم العدل، (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين"(١).

(يوفيهم) فعل مضارع وعدي، يحمل لهم الوعد بمحاسبتهم بالعدل.

(ويعلمون) فعل وعدي، حيث يعد الله محاسبة الناس في الآخرة بالعدل والحق.

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)﴾

(يقولون) فعل إخباري وصفي، يصف الله قول المنافقين بالخبث وأنّ الله برّأ عائشة منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧)﴾

تحمل الآية آداب شرعية، أدّب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، ومعناها (النهي) في (لا تدخلوا)، ومعناها (الأمر) في (حتى تستأنسوا وتسلموا)، ومعنى الرجاء أن يطيعوا الله حين يتذكرون أوامره في (لعلكم تذكرون)، فالأفعال الأربعة السابقة كلها أفعال توجيهية للنصح والإرشاد.

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾

(لم تجدوا) فعل الشرط، فعل إخباري تقريري، يفيد نفي وجود أحد في البيوت، (فلا تدخلوها) جواب الشرط، يفيد النهي، وفيه توجيه لمن يقصدون بيتًا

(١) البغوي، تفسير البغوي، ج ٦، ص٢٨.

فارغًا من أهله، بأن لا يدخلوه حتى يؤذن لهم، والإيذان السماح،(وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أفعال أمر تفيد التوجيه للرجوع إن لم يؤذن لهم بالدخول.

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾

(أن تدخلوا) فعل إعلاني، يعلن حكم الإباحة، (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)، الفعل (يعلم) فعل إعلاني لا مجال للشك فيه، و (تبدون، تكتمون) فعلان متضادان في المعنى، وغرضهما الإنجازي: توجيه المُخاطَبين إلى الالتزام بأوامر الله تعالى لأنه يعلم ما يبدون وما يكتمون.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) ﴾

(قل) فعل أمر توجيهي للرسول صلى الله عليه وسلم، لينقل للمؤمنين أوامر الله لهم، (يغضوا)، (يحفظوا) فعلان مضارعان توجيهيان للمؤمنين بأن يغضوا أبصارهم، وأن يحفظوا فروجهم؛ لأن ذلك أطهر لهم، ويؤكد الله على علمه بما يفعل المؤمنون، و (يصنعون) فعل مضارع غرضه توجيهي للمؤمنين؛ ليراقبوا الله في أعمالهم.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١)﴾

الفعل (قل) فعل أمر توجيهي للرسول صلى الله عليه وسلم ، لينقل للمؤمنين أوامر الله لهم، والأفعال (يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن، وليضربْنَ، ولا يضربْنَ، وتوبوا) كلها أفعال توجيهية للنساء المؤمنات بالتزام الأوامر التي أمرهنّ بها الله تعالى واجتناب النواهي التي أمرهنّ باجتنابها. (لعلكم تفلحون) فعل توجيهي للمؤمنين ليتوبوا إلى الله عن ممارسات الجاهلية، وجاء في تفسير ابن كثير "ويتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة"[1] .

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) ﴾

(انكحوا) فعل أمر طلبي توجيهي للمؤمنين أن يُزَوِجوا من استطاع الزواج، وجاء عند ابن كثير"هذا أمر بالتزويج، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه، على كل من قدر عليه"[2] ، (إن يكونوا) فعل إخباري وصفي، يصف فيه حالة فقر بعض الناس، (يُغنهم) فعل مضارع جواب الشرط، غرضه وعدي، يعد الله بإغناء الفقراء من فضله وحده.

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) ﴾

الأفعال(وليستعفف، فكاتبوهم، وآتوهم، ولا تكرهوا) أفعال توجيهية إلزامية، وذلك بالتزام الأوامر التي أمر بها الله تعالى واجتناب النواهي التي أمر باجتنابها، جاء في تفسير ابن كثير في (فكاتبوهم) "هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص١٣٣١.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٣١.

منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوا، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب، لا أمر تحتم وإيجاب، بل السيد مخير، إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه، وإن شاء لم يكاتبه"[١]، (إن أردن) أي إن رغبن، وهو فعل تعبيري. (لتبتغوا) فعل مضارع مسبوق بلام التعليل يعني لتطلبوا، وهو فعل ناتج عن الرغبة، فهو فعل تعبيري. (ومن يكرههنّ) أي يجبرهنّ، فعل مضارع غرضه تعبيري؛ لأنه يعبر عن إكراه الإماء على البغاء، وجاء عند ابن كثير كان سبب نزول هذه الآية الكريمة – فيما ذكره غير واحد من المفسرين، من السلف والخلف – في شأن عبد الله بن أبي بن سلول [المنافق]فإنه كان له إماء، فكان يكرههن على البغاء؛ طلبا لخراجهن، ورغبة في أولادهن، ورئاسة منه فيما يزعم قبحه الله ولعنه [٢] .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) ﴾

(أنزلنا) فعل إخباري يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن وما فيه من آيات وأحكام ومواعظ وأخبار. (خلوا) فعل إخباري، يخبرنا عن مصير الأمم السابقة وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى. وجاء في تفسير السعدي "هذا تعظيم وتفخيم لهذه الآيات، التي تلاها على عباده، ليعرفوا قدرها، ويقوموا بحقها"[٣] .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ص١٣٣١ – ١٣٣٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٣٣.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، قدّم له: عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل ومحمد بن صالح العثيمين، دار السلام، الرياض، السعودية، ط٢، ٢٠٠٢م ، ص٦٦٤.

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾

(يوقدُ) فعل مضارع مبني للمجهول، قال الفراء: "فمن قرأ يُوقَدُ ذهب إلى المصباح، ومن قرأ تُوقَدُ ذهب إلى الزجاجة. وقال الليث: ومن قرأ يُوقَدُ أخرجه على تذكير النور"(١). أما غرض الفعل الإنجازي فهو الوصف والإخبار. وكذلك الأفعال (يكادُ) و(يضيء) و(لم تمسسه) فهي أفعال وصفية إخبارية. (يهدي الله لنوره من يشاء) فالفعل يهدي: فعل تعبيري، يعبر الله عن توفيقه لمن يشاء لإتباع نوره، (يضربُ الله الأمثال) ويمثّل الله الأمثال والأشباه للناس، كما مثّل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة"(٢). فالفعل يضربُ فعل إخباري، يصف الله أسلوبه بضرب الأمثلة.

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) ﴾

الأفعال (أذن) و(أن ترفع) و(ويذكر فيها اسمه) أفعال إعلانية، يعلن الله من خلالها سماحه للمساجد أن تبنى وأن تعظّم لذكره، والفعل (يسبّح) فعل خبري، يصف فيه فعل رواد المساجد.

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) ﴾

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، مادة وقدَ، ص٤٨٨٩.

(٢) الطبري، تفسير الطبري ، ج ٥، ص٤٢٨ – ٤٢٩.

الفعلان (لا تلهيهم ويخافون) الأول فعل إخباري مسبوق بنفي، والثاني فعل مثبت غرضهما وصف رواد المساجد. (تتقلبُ) فعل إخباري وصفي، يصف أحوال قلوب الناس يوم الحساب.

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) ﴾

(ليجزيهم) فعل مضارع وعدي، يحمل وعدًا من الله للذين آمنوا وأطاعوه بالجزاء الحسن يوم القيامة، وكذلك (يرزق) و(يشاء) فعل وعدي، "وقوله: (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يتفضل الله على من شاء وأراد من طوله وكرامته، مما لم يستحقه بعمله، ولم يبلغه بطاعته من غير حساب"[١] .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) ﴾

الأفعال (كفروا)، (يحسبه)، (جاءه)، (لم يجده)، (ووجد الله)، أفعال إخبارية، غرضها وصف الكافرين وأعمالهم. و(فوفاه) فعل وعدي، بأن الله سيجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا يوم القيامة.

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾

هذا تشبيه لأعمال الكفار بالظلمات في بحر لجّي. (يغشاه): يغطيه، والغشاء الغطاء[٢]، فعل إخباري وصفي لقلب الكافر. وكذلك (أخرج)، (لم يكد)، (يراها)، (لم يجعل)، جميعها أفعال إخبارية وصفية.

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥، ص٤٣٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ص٣٢٦١.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) ﴾

هنا توجيه الله للنبي صلى الله عليه وسلم للتأمل في قدرة الله تعالى على فهم جميع المخلوقات، ومعرفة ما يفعلون، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن الله يصلي له من في السماوات والأرض من ملك وإنس وجن"(١) .

(ألم ترَ) فعل توجيهي، يحث على التبصر والتفكر، (يسبح له) فعل خبري وصفي، (قد علم) قد تفيد تحقيق العلم، فهو فعل خبري وصفي يصف عظيم قدرة الله، (يفعلون) فعل إخباري يصف أعمال الكافرين.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) ﴾

(يزجي): يسوق، وهو فعل إخباري وصفي، (يؤلف): يجمع، وتأليف الله السحاب: جمعه بين متفرّقها، وهو فعل إخباري وصفي. (يجعله ركاما): يراكمه فوق بعضه فعل خبري وصفي، وقوله: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) يقول: فترى المطر فعل خبري وصفي، يخرج من بين السحاب، فعل خبري وصفي. (وَيُنزلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) ينزل الله البرد، فعل إخباري وصفي. (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ) يقول: فيعذّب بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد، من يشاء فيهلكه، أو يهلك به زرعه وماله (وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ) من خلقه، يعني: عن زروعهم وأموالهم. وهي أفعال

(١) الطبري، تفسير الطبري ، ج ٥، ص٤٣٤.

إخبارية وصفية لقدرة الله، (يكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يخطف الأبصار): أي لمعان البرق يذهب بالأبصار. (يخطف) فعل إخباري وصفي، تصف لمعان البرق.

﴿ يقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾

(يقلّبُ) فعل إخباري وصفي، يصف الله فيه تصريفه بين الليل والنهار، وقوله: (خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ) يعني: من نطفة[1]، والفعلان (خلقَ) و (يمشي) فعلان إخباريان وصفيان.

﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦) ﴾

(أنزلنا) فعل إخباري، يخبرنا الله أنه أنزل آيات واضحات، (والله يهدي من يشاء): يرشد الله من يشاء من خلقه بتوفيقه، والفعلان (يهدي) و (يشاء) أفعال إخبارية وصفية.

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾

(ويقولون) فعل إخباري تقريري. (آمنا)، (أطعنا) فعلان إعلانيان، يعلن فيهما المنافقون إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله، و(يتولى) فعل إخباري وصفي لأخلاق المنافقين.

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) ﴾

الفعل (دعوا) فعل خبري وصفي، (ليحكمَ) فعل إعلاني يتحقق بمجرد قول حكم الله لهم.

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) ﴾

---

(١) الطبري، تفسير الطبري ، ج٥، ص٤٣٧.

(يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) منقادين لحكمه، مقرّين به، طائعين غير مكرهين.[1] فالفعل (يأتوا): فعل خبري، يصف فيه سرعة انقياد المنافقين لحكم الله ورسوله إذا كان الحق لهم.

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) ﴾

يتعجب الله تعالى من تباين موقف المنافقين في الرضى بحكم الله ورسوله في الآيتين السابقتين، فهل يشكون في حكم الله ورسوله؟ أم يخافون أن يُجار عليهم من قبلهم؟ فالفعل (ارتابوا) و(يخافون) فعلان تعبيريان عن شعور المنافقين حيال أوامر وأحكام الله تعالى ورسوله، (أن يحيفَ) أن يجور وحاشا لله تعالى ذلك، والفعل خبري وصفي يصف مشاعر المنافقين.

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾

حصر الله الفلاح بمن أطاع الله ورسوله؛ لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلّا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله[2]، (دُعوا)، فعل إخباري، يصف المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله حين ينادون للحكم بينهم، و(ليحكم) فعل إعلاني، (يقولوا): فعل إخباري، يصف ويبين قولهم. (سمعنا) فعل إخباري.(وأطعنا) فعل إعلاني، يعلنون فيه موقفهم من حكم الله ورسوله.

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) ﴾

(يُطع): أي فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه، (ويخشَ الله ويتّقه): ويخش

---

(١) الطبري، تفسير الطبري،ج ٥، ص٤٣٨.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٦٩.

الله فيما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما يستقبل، وكلها أفعال توجيهية تشجع على طاعة الله.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) ﴾

أقسموا: حلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، وهو فعل وعدي، يلزم المتكلم بالوفاء بما أقسموا عليه. (لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ) إذا أمرتهم يا محمد، وهو فعل توجيهي تشجيعي، كأنهم يشجعون محمد صلى الله عليه وسلم ليأمرهم بالخروج لجهاد العدو، و(ليخرجن) فعل مضارع مسبوق باللام المزحلقة الداخلة على خبر (إنّ) وتفيد الوعد بالخروج للجهاد، و(قل) فعل توجيهي، يحمل أمرًا من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم. (لا تقسموا) فعل توجيهي طلبي ينهى المنافقين بالحلف بالله؛ لأنه يعرف أنّهم كاذبون، (تعملون) فعل خبري، يصف أعمال المنافقين الباطلة.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾

(قل) فعل أمر توجيهي، يأمر محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغ الناس كلام الله، (أطيعوا) فعل توجيهي يأمر الله الناس جميعا بطاعة الله ورسوله، (فإن تولوا) فعل توجيهي يحذر من الإعراض عن طاعة الله ورسوله، (عليه ما حمّل) عليه أن يلتزم بتبليغ ما أرسل به، (وعليكم ما حمّلتُم) وعليكم أن تلتزموا بما دعاكم إليه. والفعلان توجيهيان، يحثان على الالتزام بما يطلب منهم. (وإن تطيعوه) فعل توجيهي، للنصح والتشجيع. (تهتدوا) فعل وعدي، يحمل لهم البشرى بالهداية لمن يطيع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾

الفعل (وَعَدَ) فعل وعدي، يلزم الله نفسه بتحقيق ما وعد به، (آمنوا) فعل إخباري يصف فيه من يصدق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، (وعملوا) فعل إخباري، يصف أعمال المؤمنين بالصالحات، و(ليستخلفنهم)، (ليمكنن)، (وليبدلنهم) أفعال مضارعة وعدية باستخلاف المؤمنين وتمكين دينهم، وإحلال الأمن عليهم، (يعبدونني لا يشركون) فعلان مضارعان إخباريان وصفيان لعمل المؤمنين. (كَفَرَ) فعل ماض إخباري، يصف الكافرين بأنهم فاسقون.

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) ﴾

الأفعال (أقيموا)، (آتوا)، (أطيعوا) أفعال أمر توجيهية للمؤمنين، (لعلكم ترحمون) فعل تعبيري، يعبر عن الرجاء برحمة الله تعالى.قال السعدي: "من أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة"(١) .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧) ﴾

(لا تحسبنّ) "لا تحسبن يا محمد، الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم"(٢)، فعل توجيهي غرضه تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم على الثبات في الدعوة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٧١.

(٢) الطبري، تفسير الطبري ، ج٥، ص٤٤٣.

مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) ﴾

(ليستأذنكم) فعل توجيهي غرضه الأمر بالاستئذان. (لم يبلغوا) فعل إخباري، غرضه وصف فئة عمرية بأنها لم تحتلم بعد. (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي فترة القيلولة؛ لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله[1]، فالفعل (تضعون) فعل إخباري وصفي، يصف حال الناس وقت الظهيرة. (يبينُ الله) فعل خبري وصفي، يصف فيه الآيات والأحكام التي أنزلها الله لعباده ويوضحها.

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾

الأفعال في هذه الآية بلغ: إخباري، فليستأذنوا: توجيهي، استأذنَ: خبري، يبيّنُ: خبري.

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾

(لا يرجون) فعل مضارع منفي غرضه إخباري، يصف فيه القواعد من النساء. (أن يضعنَ)، (أن يستعففنَ) فعلان مضارعان غرضهما توجيهي للنصح بالعفة.

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص١٣٤٥.

أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١) ﴾

جاء في تفسير الطبري عدة تفاسير لهذه الآية، ومنها: "قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه، فقال بعضهم: أنزلت هذه الآية ترخيصًا للمسلمين في الأكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم، من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم، خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئًا مما نهاهم الله عنه بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾[1] . ومعنى (أن تأكلوا) إعلاني، يبين الله حكم إباحة الأكل مع من سبق ذكرهم.

الفعل (فإذا دخلتم بيوتًا)، الفعل (دخلتم) فعل إخباري، يصف عملية الدخول إلى البيت أو إلى المسجد، (فسلموا على أنفسكم) فعل توجيهي نصحي وإرشادي؛ لرد السلام حين الدخول.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) ﴾

الأفعال (آمنوا)، (كانوا معه)، (لم يذهبوا)، (حتى يستأذنوا)، (يستأذنوك)، (يؤمنون): أفعال إخبارية، تصف المؤمنين في حال اجتماعهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، (فأذن لمن شئت) فعل توجيهي، يطلب الله من نبيه السماح لبعض المؤمنين الذين كانوا معه لشأنهم. و(واستغفر لهم) فعل توجيهي للرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر للمؤمنين.

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥، ص ٤٥١.

﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾

جاء عند الطبري: "واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم، وقال لهم: اتقوا دعاءه عليكم، بأن تفعلوا ما يسخطه، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا"(١)، فالغرض الإنجازي للفعل (لا تجعلوا) هنا توجيهي غرضه التحذير من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون غرضه التوجيه والأمر بحسن مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيمه وتعظيمه. والفعل (قد يعلم) فعل إعلاني لا شك فيه؛ فالله يعلم من كان ينصرف من عنده من غير إذنه. (فليحذر) فعل توجيهي غرضه التحذير، (يخالفون عن أمره) فعل إخباري، يصف من ينصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن، (أن تصيبهم فتنة) غرض الفعل توجيهي تحذيري من الفتنة في الدين. (أو يصيبهم عذاب) الفعل توجيهي تحذيري أيضًا من وقوع العذاب عليهم إن انصرفوا من غير إذن.

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) ﴾

(قد يعلمُ) قد للتحقيق، وبذلك يكون الفعل إعلاني، يعلن أن الله عليم بكل شيء، (يُرجعون) فعل مضارع مبني للمجهول إخباري، يصف رجوع الناس على الله يوم القيامة ليحاسبهم. (فينبئهم) يخبرهم الله بما عملوا، وهو فعل إخباري أيضًا.

(١) الطبري، تفسير الطبري ،ج٥، ص٤٥٣.

الخاتمة

في ختام البحث ، لا يسعني بعد حمد الله –تعالى– على التوفيق والتيسير والسداد إلّا أنْ أعرض لأهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث :

١– تبين لنا مما سبق دراسته أنّ العرب كانوا الأسبق من الغرب في دراسة الأغراض من الألفاظ، وأنهم لم يهتموا بالمعنى المعجمي للمنطوق، بل تجاوزوه إلى تفسيره حسب السياق، وحسب مقصدية المتكلم، ويبدو أنّ غنى العربية بالمجاز قد دفع العرب لدراسة هذه الأغراض من الكلام في غير المعنى المعجمي المحدد، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ أي يقدّم ويعطي الله الأمثال، وليس الضرب المعروف بالتعذيب والاعتداء.

٢– تبين من خلال الدراسة أنّ الغرب قد سبقوا العرب في تحديد المصطلح، أما مضمون الدراسات وإجراءاته، فقد عرفها العرب من قبل.

٣– أنّ الدراسات اللغوية القديمة والحديثة تصلح للتطبيق على كافة النصوص النثرية والشعرية، والقرآنية، وما تم اكتشافه من الغرب عرفوه علماء العربية القدماء بمضمونه

٤– دَرَسَ البحث الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور بشكلٍ مفصّل، وقد درس مئتين واثنين وثلاثين فعلًا من حيث دلالتها وغرضها الإنجازي، وحتى يسهل معرفة نتائج الدراسة فقد صنفت الأفعال حسب أغرضها الإنجازية التي وضعها سيرل في الجدول التالي:

الأفعال الإخبارية	الأفعال الإعلانية	الأفعال التوجيهية	الأفعال التعبيرية	الأفعال الوعدية
١٠١	٢٨	٧٠	٨	١٥

من خلال الجدول السابق نستنتج ما يلي:

١) إنّ معظمَ الأفعالُ في سورةِ النورِ كان غرضها الإنجازي إخباري تقريري أو وصفي، وقد يرجع سبب ذلك للمواضيع التي تناولتها سورة النور، ومنها حادثة الإفك وبيان صفات المنافقين وأعمالهم حتى يسهل اكتشافهم ومعرفتهم من خلالها.

٢) جاءت الأفعال التوجيهية في المرتبة الثانية بعد الإخبارية، ويرجع ذلك لكثرة الأحكام التي جاءت في سورة النور، كالمختصة بالزنا، والاستئذان، والتحذير من المنافقين، وأدب التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وغيرها.

٣) جاءت الأفعال الإعلانية في المرتبة الثالثة بعد الإخبارية والتوجيهية، ومعظمها كانت بمثابة أحكام ربانية تتحقق بمجرد النطق بها.

٤) جاءت الأفعال الوعدية في المرتبة الرابعة، وهي في معظمها أفعال حملت وعد من الله للمؤمنين بأن يغنيهم من فضله، وأن يهديهم وأن يتوب عليهم.

٥) جاءت الأفعال التعبيرية محدودة جدًا في سورة النور؛ لأن السورة غنية بالأحكام كعادة السور المدنية الأخرى.

٥- يوصي الباحث بإغناء النصوص التراثية العربية وأهمها القرآنية بالدراسات الحديثة، وفق المناهج الحديثة كالتداولية واللسانية والسيميائية؛ لأنها تغني المكتبة العربية بكل ما هو جديد.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** .

١- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين،

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط١، ٢٠٠٢م.

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ط٣، ١٩٨٨م.

٢- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود(١٩٨٩م)، تفسير الطبري (معالم التنزيل)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض- السعودية.

٣- بوجادي، خليفة (٢٠٠٩م)، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط١.

٤- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز ، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر، ط٣.

٥- زغير، هادي سدخ (٢٠١٧م)، قصيدة أحمد الزعتر للشاعر محمود درويش: دراسة تداولية، مجلة الأستاذ، العدد٢٢١، المجلد١.

٦- الزمخشري، محمود بن عمرو،(١٩٨٨م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

٧- أبو زيد، نواري سعودي (٢٠٠٩م)، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط١.

٨- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(٢٠٠٢م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، قدّم له: عبدالله بن عبد

العزيز بن عقيل ومحمد بن صالح العثيمين، دار السلام، الرياض- السعودية، ط٢.

٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٠٠٦م)، لباب النقول في أسباب النزول، خرج أحاديثه وعلق عليها: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٠- شرف الدين، جعفر(١٩٩٩م)، الموسوعة القرآنية خصائص السور، تقديم: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة- مصر، ط١.

١١- الشهري، عبد الهادي بن ظافر(٢٠٠٤م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١.

١٢- صحراوي، مسعود (٢٠٠٥م)، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١.

- الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللسانيات، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠٠٤م.

١٣- الصراف، علي محمود (٢٠١٠م)، في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: دراسة تداولية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط.١

١٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(١٩٩٤م)، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١.

١٥- الطبطبائي، طالب سيد هاشم (١٩٩٤م)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت.

١٦- ابن عاشور، محمد الطاهر(١٩٨٤م)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

١٧- عبد الحق، صلاح إسماعيل(١٩٩٣م)، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت – لبنان، ط.١

١٨- العسقلاني، الحافظ بن حجر (١٩٩٧م)، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٩- ابن علي، خلف الله (٢٠١٧م)، التداولية مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد ١٤، العدد.١

٢٠- الفارابي، أبو نصر (١٩٩٠م) ،كتاب الحروف، حققه وقدم له: محسن مهدي ، بيروت – لبنان، دار المشرق، ط ٢.

٢١- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (١٩٩١م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط.٢

٢٢- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(١٩٩٦م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة- مصر، ط١.

٢٣- القرالة، زيد خليل (٢٠٠٩م)، التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص: دراسة تطبيقية، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد١٧، العدد الأول ، يناير.

٢٤- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(٢٠٠٦م)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١.

٢٥- القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي(١٩٩٦م)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ضبطه وحققه: محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١.

٢٦- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر(٢٠٠٠م)، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط.١

٢٧- لعور، آمنة(٢٠١١م)، الأفعال الكلامية في سورة الكهف: دراسة دلالية، رسالة ماجستير، جامعة منتوي، الجزائر.

٢٨- مجموعة باحثين (١٩٨٤م)، البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ط.١

٢٩- محمد، حسين عمران(٢٠١٥م)، شعر أبي نواس: دراسة تداولية، رسالة دكتوراة، جامعة ديالي، العراق.

٣٠- مدقن، هاجر(٢٠٠٨م)، التحليل التداولي: الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية، مجلة الأثر ،جامعة قاصدي ، الجزائر، العدد السابع .

٣١- مسعود، جبران(١٩٩٢م)، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط.٧

٣٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم (٢٠٠٥م)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه:عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١.

٣٣- ميلاد، خالد(٢٠٠١م)، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية دلالية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.

٣٤- نحلة، محمود أحمد(٢٠٠٦م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

الكتب المترجمة

١- جورج يول (٢٠١٠م) ، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط.١

٢- شارودو باتريك ودومينيك منغنو(٢٠٠٨م)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط١.

٣- فرانسواز أرمينكو(١٩٨٧م)، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، ط١.

٤- فيليب بلانشيه(٢٠٠٧م)، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية- سوريا، ط١.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٠٣٠
٢-	Abstract	٣٠٣١
٣-	المقدمة	٣٠٣٢
٤-	المبحث الأول: التداولية والأفعال الكلامية نشأتهما ومفهومهما وأقسامهما وأغراضهما	٣٠٣٤
٥-	المبحث الثاني : الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في سورة النور (دراسة تطبيقية).	٣٠٤٦
٦-	الخاتمة	٣٠٧٠
٧-	المصادر والمراجع	٣٠٧٢
٨-	فهرس الموضوعات	٣٠٧٧